الباب الخامس

الأدب والفن والأبنية عند الإنسان

إن الإنسان يتفاعل فيؤثر ويتأثر بكل ما يحيط به: الفضاء، أثاث وأدوات المنزل، الكتب، الأفلام السينمائية، المسرحيات وكل ما يملك حقولاً معلوماتية ويتفاعل مع الأبنية الحقلية عند الإنسان.

تمكننا الفحوص والاختبارات من تحديد درجة ونوعية هذه التأثيرات، فإذا ما تضمنت الكتب والأفلام على عناصر عدوانية فإنها قد تتسبب بإحداث تشوّهات الأبنية الحقلية عند الإنسان، ومن السهل توقع نتائجها.

منذ شهر آب من عام 1945 وما يزال التضخيم والتعزيز للعدوان الضميري مستمرين في الأبنية المعلوماتية للأرض. ولقد شحت الموارد الإستراتيجية للروحانية إلى حد كبير وهي مهددة الآن بالنضوب، أما الحياة فتضيف بشكل يومي حصصاً جديدة من العدوان الضميري.

يرتفع مستوى العدوانية بشكل حاد وملحوظ في الفنون الغربية متنوعة الأشكال، والمبنية وفقاً لمبادئ المنافسة وتسخير القوى المادية والبشرية، وعندما يتدفق هذا التيار اللامنتهي من أفلام السينما والفيديو إلى بلدنا من دون أية مراقبة أو تحكم. لم تعد عملية التأثير على ضمير الإنسان ضمن حدود السيطرة والمراقبة.

حتى أن برامج الأطفال تظهر ومن النظرة الأولى وفي أغلبها مشبعة ببرامج القهر والإجبار والاغتصاب مما يضاعف الخطر في الحزمة الناعمة الرقيقة. والمعلومات الناتجة عن انفعالات إيجابية تدخل إلى الضمير من دون مشاكل وتحتفظ في أعماقه لفترات طويلة، وبما أن الضمير يعمل بشكل مستقل ذاتياً فهو يستقبل المعلومات ذاتياً وبكميات غير محددة.

لتقييم تأثير بعض الأفلام الغربية والروسية على الإنسان نستعمل العوامل الأساسية: مستوى العدوان الإدراكي والضميري، وكنا قد تحدثنا أن قيمة عامل العدوان الضميري عند أي إنسان يجب أن تكون سلبية. ونحن نعلم أن الأعمال الأدبية عند الموهوبين تحمل دائماً شحنة إنسانية وتملك مستوى عدوانياً ضميرياً منخفضاً جداً. وهذا ما نلاحظه في أعمال "بوشكين" على سبيل المثال.

ولنعد إلى الفن، فلقد قمت باختبار فيلم الكرتون الشهير "توم وجيري" فوجدت أن عامل العدوان الإدراكي معدوم، بينما تزيد نسبة عامل العدوان الضميري على 80%. ثم اختبرت فيلم "الثلج الأبيض والعفاريت السبعة"، فوجدت أن عامل العدوان الإدراكي يساوي 40% بينما عامل العدوان الضميري يساوي 60%. وهذه الأفلام تنقل من خلال الطيبة الخارجية قساوة داخلية إلى الضمير، وبعد مشاهدته لمثل هذه الأفلام يرتفع مستوى العدوان الضميري، عند الطفل ويتضاعف عدة مرات. وللأسف بدأ الأطفال في وقتنا الحالي بتحمل أوزار المخالفات القانونية، وهذا يعني أنه سوف يبدأ هذا الانحطاط عند الأطفال في سن الثانية أو الثالثة فإن ذلك يؤدي إلى تحطيم الشخصية عند الطفل وبالتالي يصبح غير قادر على الحياة.

فلماذا إذاً نعقد حياة الطفل ونثقلها ونرهقها بهذا الفن المدمر؟

لنتفحص بعض الأفلام الأخرى التي ملأت دور السينما وشاشات التلفاز في الفترة الأخيرة، ففيلم "زلوشكا" يملك عامل عدوان إدراكي مساوٍ لـ 50%، وعامل عدوان ضميري مساوٍ لـ 20%، أما الفيلم "الأسيرة القفقازية" فيملك عامل عدوان إدراكي مساوٍ لـ 160% وعامل عدوان ضميري مساوٍ لـ 180%، بينما يملك فيلم "ولكن ... انتظر" عامل عدوان إدراكي مساوٍ لـ20%، وعامل عدوان ضميري مساوٍ لـ 120%، ويملك فيلم "أندري الروبلات" عامل عدوان إدراكي مساوٍ لـ 20%.

وهذا ما نعيشه ومثله الكثير وكل ذلك يسمى فناً.

وبدراسة مستوى العدوان الضميري عند مجموعات الناس المختلفة، بما في ذلك المسؤولين الحكوميين، والممثلين السياسيين، ومشاهير الغناء ومحترفي الفن التمثيلي، رأيت مرة أخرى آثار اللامبالاة بمنظومة الضبط الذاتي الحقلي.

وهذا يشير إلى أن الشخص الذي يقف على خشبة المسرح يؤثر وبقوة في ضمير المشاهد أو المستمع. ولذلك فإن العمل والتفاعل مع مجموعة كبيرة من الجمهور لا يتسنى إلا لأولئك الذين يتمتعون بمستوى شبه معدوم للعدوانية الضميرية وفي نفس

الوقت يكون مستوى الحب والتسامح لديهم أعظمي وإلا سوف يؤدي عملهم إلى إحداث أضرار كبيرة في أبنيتهم الروحانية، ويملك جميع نجوم المسرح والسينما والتلفاز في بلدنا مستوى منخفض في العدوانية، ولا يوجد شواذ في ذلك. حتى أن مجرد ارتفاع طفيف في هذا المستوى يؤدي إلى ضياع المقدرة والموهبة، أو حدوث الإصابات المفاجئة بالمرض والخروج عن خشبة المسرح بسبب حادث أليم، أو أن إعجاب الجماهير به وإقبالهم عليه ينخفض إلى أدنى المستويات.

لذلك فإن التخصص العالي في عالم الفن والغناء، يجب أن يضم وبالإضافة إلى مجموعة المواصفات التخصصية النوعية، مجموعة أخرى من المواصفات الإنسانية المتمثلة بالطيبة والحب والأخلاق الحميدة، كما يجب العمل الدؤوب وبشكل دائم على تطوير هذه المواصفات وثقلها في النفس. ويبدو هذا الأمر للوهلة الأولى غريباً، غير أن هذه الآلية تعمل منذ زمن في عالم السياسة، فالسياسي الذي يعاني من مستوى مرتفع في العدوانية الضميرية لا يملك أية مشاريع مستقبلية، فالرشاقة واللباقة وقوة الشخصية تأتي هنا في المرتبة الثانية.

وأخطر ما يكون العدوان الضميري على الشباب وبالأخص على النساء الحوامل منهم، وذلك لأن روح الأم تصبح جسداً للجنين، وكلما كان العدوان عميقاً ازداد خطره. والمرأة التي توافق بإدراكها على قوى الإجبار والاغتصاب تتسبب لنفسها بضرر قليل لا يزيد عن 2% ولكن إذا وضعت بعد عام أو عامين طفلاً فإن تشوّهات حالته النفسية قد تصل إلى 80%، ولذلك فإن جسد الطفل يصيغ أفكار الأم.

لقد وجدت هذه المفاهيم عند الشعوب منذ القدم، ففي عصر ولادة السيد المسيح كانت النساء الحوامل تصحب إلى المعارض والحفلات وتحاط بالأمتعة الجميلة، وبالموسيقا وبالحب. ولقد عرف في القرى الروسية أن ما ترى الأم الحامل وتفكر وتحسن يؤثر كثيراً على طفلها القادم، ولذلك كانوا يحاولون تجنيبها من جميع الانفعالات وحتى من النظرات الغريبة. ولنتصور الآن سيدتنا الحامل في هذا العصر وهي مرغمة على الذهاب إلى العمل والوقوف لساعات طويلة في طوابير المشتريات اليومية والصعود إلى وسائل المواصلات المزدحمة، والتي ترتاح بمتابعتها لفيلم أجنبي غربي...

إننا نتصور وببساطة كبيرة آلية الكارما، ولا نستطيع دائماً رؤية عملية

الضبط الذاتي الحقلية كاملة، فبقدر ما هي دقيقة ومعقدة هي أيضاً غامضة في بعض الأحيان.

يجب أن تكون سلوكيات وأخلاقيات البشر حالياً نتيجة وحصيلة الفهم العميق للعالم ولقوانينه العليا. وتأتي الصعوبة من ضرورة التعلّم على كيفية وصل المفاهيم المتضادة: المثالية والمادية، الدين والعلم، المنطق والبداهة، الروحانية العالية والحياة العملية، الحب الدائم للعالم وللناس والانفعالات اليومية.

لقد تحول التفاعل والتأثير المتبادل ما بين الناس في الوقت الحالي إلى عملية بعيدة عن الضبط والتحكم، ولقد لعب الفن في ذلك دوراً كبيراً.

ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر عندما بدأ تطور الانطباعية التأثرية وأنواع الفن الأخرى الموجهة لمحاكاة الضمير أصبحت حمايته من الاختراق العدواني أكثر تعقيداً. إن معظم اللوحات الفنية الصادرة من قبل الفنانين الغربيين ذات روحانية منخفضة ومستوى أعلى من العدوانية الضميرية. ومثل هذه اللوحات الفنية تشوّه الأبنية البيوحقلية وتسبب الضرر والأذى للناس. كما يمكن في بعض المعارض رؤية اللوحات التي تمتص الطاقة من الناس، فتراهم يخرجون بعد مشاهدتهم لهذه المعارض متعبين منهكين، من دون أن يعرفوا سبب ذلك.

لقد كان اكتشافاً غير متوقع ذلك الذي تبيّن لي في معرض لوحات الطقوس والمراسيم النمساوية، الذي أقيم في الربيع الماضي. فبتحليلي لبعض الأعمال كنت مندهشاً لرؤيتي قوى التأثير الإيجابية على أكثر عوامل الإنسان أهمية: لقد كانت ممتلئة بالحب ومتصلة مع الفضاء. توقفت أمام إحدى اللوحات، التي لم يكن يظهر عليها أي شكل لمادة معينة، فهي تتألف من نقاط وخطوط وبقع مختلفة، وبتواجدي بالقرب من هذه اللوحة شعرت أنها تتفاعل فتؤثر وتتأثر بي فاقتربت منها أكثر وأصبحت ضمن حقلها المعلوماتي، لقد كان الشعور غريباً: لقد تغيّرت المقاييس من حولي وظهرت حالة بوادر السحر واللاحقيقة. ولقد بدت عوامل اللوحة عند الاختبار عظيمة جداً: فالنفس والروح في مستو عال جداً وممتلئة بالحب، ومستوى العدوان الضميري والإدراكي منخفض جداً.

إن هذه اللوحة لا تسبب أية رابطة إدراكية وتعالج الناس طاقياً، فتعطيهم المعلومات وتتفاعل معهم وكأنها كائن حي تماماً. وبعد اطلاعي على المعرض حاولت علاج الناس بالرسومات ودهشت لقوة تأثيرها. فبامتلاكها لأبنية حقلية

نشيطة تستطيع اللوحات هرمنة الروح والصحة والمصير وحتى الفضاء من حولنا. فالأيقونة المكتوبة من قبل إنسان روحاني تستطيع توجيه الإنسان إلى الرب وتعالجه وتحميه.

يجب أن تُرسم اللوحات الحديثة تماماً كالأيقونات. إن الكمون الروحي العظيم الذي تراكم في روسيا خلال العشرات من سنوات العذاب الظالم يذهب الآن جفاءً. وإذا كانت اللوحات قديماً تشبه، على المخطط الطاقي، الأشجار ذات الجذور الكبيرة والعظيمة، التي تمدها بالغذاء والماء بشكل دائم، ومهما ارتفعت الشجرة، فإن اللوحات الحديثة اليوم لا يمكن تشبيهها إلا بتلك الشجيرات الهزيلة التي تنمو بالقرب من المستنقعات.

يمكن بإبداع بعض اللوحات الموجهة إلى الضمير والمشبعة بالحب إيجاد رسومات حية تستطيع التأثير على عالم الروح بقوة تزيد بمئات المرات عن قوة تأثير الإنسان، وبالتالي فإن المتطلبات المتوخاة من طالب الفن تزيد هي الأخرى بمئات المرات بالنسبة لعالمه الداخلي وسلوكه وتطوره. ولقد كانت محاولات بعض الفنانين في تشكيل وصياغة رسم شخصية جنونية لأنهم فهموا من الشخصية العامة الشخصية الفيزيائية فقط. إن جسدنا يتعلق بحالة الروح، ولذلك يمكن لبعض اللوحات المفعمة بالروحانية والحب علاج المرضى.

بتحليل طرق التطور والاسترجاع الروحي أجريت بعض الاختبارات على بعض البلدان من أجل تحديد إمكانيات روحانيتها، واختبرت التفاعل والتأثير المتبادل ما بين مفهومي الأدب والحضارة. فالأدب يعني الاهتداء إلى الأمور التي توحّد الجميع، وهو ينشأ كنتيجة للطموح والتوجه إلى الاتحاد وإلى الأمور الربانية كرمز الاتحاد العلوي. وفقط بعد صياغة الاتحاد يمكن تشتت وانقسام المادية أو ما نسميه بالحضارة. إن الأدب يحدد الترميم والتجديد الروحاني المستمرين عند الشعب، أما الحضارة فتعمل على الترميم والتجديد الفيزيائي. والأدب هو الذي يشكل الحضارة، التي تبدأ في مرحلة نفي وتدمير الأدب.

ولكي تبقى العملية مستمرة يجب استمرار تراكم القيم الروحانية، ويجب أن توجد في المجتمع أبنية تعمل على رفض ونبذ المصالح المادية والفيزيائية وتحضر الكمون من أجل نهضة الأدب الجديدة. ولم يبق في الوقت الحالي إلا القليل لإحداث الترميم والتجديد الروحي.

ونجد العوامل المهمة في مفهومي الأدب والحضارة من وجهة نظر الطاقة، فالأدب يختص بعوامل مثل: العدوان الإدراكي بنسبة 10% والعدوان الضميري بنسبة 210%، أما مفهوم الحضارة فنسبة عامل العدوان الإدراكي تصل إلى 50%، بينما تصل نسبة عامل العدوان الضميري إلى 500%. ويعني هذا أن الأدب موجه نحو تشكيل وصياغة الحضارة، التي تحمل عناصر التدمير.

لقد قمت باختبار عوامل بعض البلدان من أجل تحديد كونها في تطوير الأدب والحضارة، وأجريت عملية التقييم بموجب عوامل العدوان فقط، فوجدتها على الشكل التالي: ألمانيا: عامل العدوان الإدراكي 505% وعامل العدوان الضميري 50%، الولايات المتحدة الأمريكية: الإدراكي 0% والضميري 20%، اليابان: الإدراكي 40% والضميري 20%، روسيا: الإدراكي 180%، والضميري 120%. وبتحليل هذه الأرقام يمكن القول إن ألمانيا تتصدر البلدان في مفهوم الحضارة أما أمريكا ذات الحضارة الأقوى في يومنا الحالي فتحتاج إلى عمل كبير من أجل تقليص مستوى العدوان الضميري ومتابعة التطور، أما اليابان فتدخل الأدب مع الحضارة وتحافظ على الكمون من أجل المستقبل، أما في روسيا فلا توجد حضارة الآن ولكن يوجد أدب داخلي ويوجد كمون هائل من أجل التطور. وبهذا التحليل أصبح مفهوماً بالنسبة لي تكهنات الكثيرين من المنجمين الذين يؤكدون أن عملية الإنقاذ سوف تبدأ من روسيا.

❖❖❖